بدت في بداياتها انها كانت مؤقتة وعابرة بانتظار تحقيق الوحدة العربية. وتمكنت المنظمة من بسط تأثيرها على فلسطينيي الشتات والداخل، فاثارت بذلك اسرائيل التي ترى ان استمرار انجاز مشروعها في اقامة وطن قومي لليهود مرتبط بانهاء اي تطلع فلسطيني لاقامة كيان على جغرافية فلسطين. وبعد ان فشلت اسرائيل في محاولاتها لخلق زعامة فلسطينية داخل الاراضي المحتلة خارج وصاية منظمة التحرير الفلسطينية، بدأت حربها العسكرية والسياسية ضد المنظمة بالتعاون مع حليفتها، الولايات المتحدة المريكية، التي بدأت ترعى منذ حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ عملية التسوية السلمية للصراع العربي - الاسرائيلي (تعهد وزير الخارجية الامريكي الاسبق كيسنجر، بعدم الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٥؛ وشعار مستشار الامن القومي الامريكي بريجنسكي «باي ... باي منظمة التحرير، ١٩٧٨؛ وطلب وزير الخارجية الامريكي الحالي شولتس، من جامعة الدول العربية تجريد منظمة التحرير الفلسطينية من حق تمثيل الفلسطينيين، ١٩٨٢).

وهكذا، كان من اهداف الغزو الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ انهاء تأثير منظمة التحرير الفلسطينية على سكان فلسطين المحتلة. وكان المطلوب انهاء المنظمة سياسيا بانتهاء تأثيرها العسكري، وهي المهمة التي تولتها القوات الاسرائيلية. ومن هذا المنطلق، يمكن القول ان اهداف الغزو الاسرائيلي قد فشلت. لكن المنظمة خسرت آخر المساحات الجغرافية التي كانت على تماس مباشر مع الوطن المحتل عبرها، والتي شكلت منفصا للكيان الاسرائيلي، ومعقلا للفلسطينيين حتى في مواجهة «الاشقاء العرب». وبالخروج من بيروت، بدأت بذور «اليأس» تفعل فعلها في اوساط الشعب الفلسطيني ومنظماته، حيث تعاظم سؤال «ماذا بعد بيروت»؟.

«لم يبق الا الحضن السوري» بشعاراته «الوطنية» وتنطحه «للتصدي». وقد تحاشت المقاومة الفلسطينية، طيلة مسيرتها الوقوع في هذا الخيار، كما تجنبت الاصطدام به. فلسوريا طموحاتها السياسية اقليميا، سواء انطلاقا من ايديولوجيا الحزب الحاكم فيها، او من الدور التاريخي للجغرافيا السورية في المنطقة، او من واقع المواجهة المفروضة على سوريا مع العدو الصهيوني. وعملت سوريا قبل وبعد خروج مصر من معادلة الصراع العربي - الاسرائيلي على احتواء معظم الاوراق السياسية في المشرق العربي (تحالف مع الاردن ١٩٧٤، دخول لبنان، ١٩٧٦؛ الوحدة الفلسطينية - السورية، ١٩٧٦؛ وحدة سوريا والعراق، ١٩٧٩). وها هي الورقة الفلسطينية بعد الخروج من لبنان قد «اصبحت بين يديها». فحاول اصحاب «القرار الوطني الفلسطيني المستقل» الفلسطينيون تأجيل الصراع مع النظام السوري على الورقة الفلسطينية، اي قضيتهم. لكن تقديرات حاكم دمشق، هي انهم اعجز من مواجهته الان، او الخروج على وصايته. فمارس كل اشكال الضغوط والتقييد، فكان الانفجار بين الطرفين منذ اوائل عام ١٩٨٣ عبر «الدوس على اصابع الارجل»، ولما لم تجد هذه الوسيلة، بدأ السوريون بتوجيه اللكمات الى جسد المنظمة مباشرة. فاعلن بعض الكوادر في حركة «فتح» خروجهم على طاعة ياسر عرفات في ايار (مايو) ١٩٨٣ تحت شعار «الاصلاح التنظيمي لحركة فتح»، ثم تصاعد الوضع بطرد ياسر عرفات من دمشق، وفتح باب الصدام المسلح مع قواته في البقاع وطرابلس الذي، انتهى بخروج عرفات وقواته منها مع نهاية عام ١٩٨٣.

لقد وقفت المنظمات الفلسطينية مرة اخرى، على جانبي المتراس، القومي العروبي والوطني الفلسطيني. وبغضّ النظر عن الشعارات التي رفعها كل من الطرفين، والاتهامات التي تبادلاها، عادت للبروز ثانية مشكلة الازدواجية في العمل الوطني الفلسطيني الذي رافقته منذ بروز القضية الفلسطينية كمشكلة سياسية.